

معنى التوكل في الإسلام

لحاضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

” أخطأ جمهور العامة من المسلمين فهم التوكل على الله في
تطلبه تعاليم الإسلام ، وحسبوا أن التوكل يعني عن العمل والسعي
في انتظار ما يأتي به القدر . وتطلع الغربيون إلى المسلمين قراء
عن ركب الحياة ، فاتهموا الإسلام بتهمة البعض من أهله ،
الإسلام ما بهذا البعض من تأخر وجمود . وقد تفضل حض
الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فأوضح هذه
الكلمة الفاصلة “ .

” المخر

تقوم الأديان كلها على أساس الاعتراف بفائدة الهدى والإرشاد ، وإمكان تب
الإنسان من سوء إلى حسن ومن ضلال إلى هدى ، ويقوم الجزء في الآخرة من
وشقاء دائم على التسليم بمبدأ الاختيار وأن الإنسان ليس كالرثة المعلقة في مهبط ال
” فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره “ ” فمن يعمل من الصالح
مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون “ ولولا هذان المبدآن لما كانت فائدة
وإرسال الرسل ، ولما كان هناك معنى للجزاء .

وكذلك الأمم التي لا تعترف بالأديان تعترف بفائدة المعلم المرشد ، وفائدة القوانين و
في إصلاح الأمم ، وفائدة الزجر والتأديب من قصاص وجلد وسجن وما أشبه ذلك مما ت

وقد أمر الله سبحانه بالسعي في طلب الرزق وقال "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه
واليه النشور" وفي الحديث الشريف "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو نحاصا وتروح بطانا" أى تخرج في الغداة جائعة البطون ثم تعود مليئة البطون لما رزقها
الله . فهذا الحديث فيه حث على السعى وحث على التوكل وهما مطلوبان في وقت واحد .
فلم ترزق الطير وهي نائمة في أوكارها ، وإنما رزقت بعد السعى والكد ، وكذلك الإنسان يجب
عليه أن يسعى ويكد كما تسمى الطير وتكد ، وفي الوقت نفسه يعتمد على الله سبحانه ويتوكل
عليه ليوفقه إلى أحسن الطرق وليدفع عنه العوادي ، ويزيل من طريقه العوائق . فليس كل
طريق للرزق مأمون العاقبة ، وليس كل طريق خاليا من الموانع . وقد يعترض المرض فيحول
دون الرزق ، وقد يعترض عدو فيقتصب الرزق ، وقد يشغله شاغل من أى نوع كان يفوت
عليه الرزق . وهذه أمور خارجة عن الطوق وعن مقدور الإنسان ، فهو يتوكله على الله سبحانه
يعتمد عليه في تيسير الطريق وتسهيل الأسباب ورفع الموانع . فهناك أمران : أمر من قبل
الإنسان لا بد منه وهو السعى ، وأمر من قبل الله سبحانه وهو دفع ما ليس في الطاقة وما هو
خارج عن القدرة . ذلك هو الذى يتوجه العبد فيه إلى الله بصدق النية وإخلاص الطوية
وإنضرب لذلك مثلا :

زارع أحسن فلاحة الأرض واختيار البذر واختيار الوقت وأتقن الري ، هذا هو عمله
المطلوب منه ، لكن هناك آفات سماوية ليس في قدرته دفعها ، فإذا توكل على الله سبحانه
عند الزراعة فلا يجوز له أن يتوكل في فلاحة الأرض وريها ، لأن هذا عمله المطلوب منه .
لكنه يتوكل على الله ليدفع عنه شر الديدان وشر الرياح وشر السيل وشر الاصوص .

وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال : "ألا إن السماء لا تمطركم ذهباً ولا فضة" . لكنه
السعى في طلب الرزق على المؤمن أن يجتهد فيه لأنه السبب والسنة التى سنّها الله لخلقهم في هذه

التوكل بالناب بعد أن يتحقق العبد أن التقدير من الله وإن تعدر شئ فبتقديره وإن فتييره . وعن أنس بن مالك : ” جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم على ناقة يارسل الله أدتها وأتوكل ؟ فقال : اعقلها وتوكل “ . وقال سهل بن عبد الله : حال النبي والكسب سنة فمن بقى على حاله فلا يترك سنته “ . وقال ابن عطاء : التوكل ألا يظهر فيك انزعاج الى الأسباب مع شدة فافتك إليها وألا تزول عن حقيقتك الى الحق مع وقوفك عليها “ .

أما ما روى عن بعض النساك من الخروج على الوسائل فلا يصح الاقتداء به ، لا خرجوا عن مقام التحقق بالشريعة الى مقام آخر هو الفناء في الله سبحانه حتى ك لا يحس بالنار تحرق يده في كبر الحداد ، فهؤلاء خارجون عن التكليف وعن الأخذ بأ وقد أمر الله سبحانه بالاحسان في العمل . والعمل الذي يطلب فيه الإحسان يتد الأعمال من زراعة وتجارة وصناعة ، ومن خدمة الدولة وخدمة الهيئات والجماعات الأفراد . والاحسان في العمل تدفع اليه الطبيعة ويحقق حكمة الله سبحانه من الإنسان في الأرض للعبادة . وهو عبادة ما لم يشب بسوء النية وإيقاع الضرر بعباد دلت الأخبار على أن سعى المرء لنفسه وزوجته وأولاده عبادة ، وأن ما يصيبه الطير من نتائج الزراعة يكتب للزراع في صحيفة عمله . فالمرء يثاب على عمله عند حسن اليه الى الله ، وعلى ثمرات عمله وإن وصلت الى غير من يقتسمه . ولو كانت الأديان التوكل وحده ولا تطلب السعي لما صح أن يكلف المسلم بالجهاد بالمسال والنفس ، الجهاد أفضل العبادات .

أيها الناس : إن الاسلام دين جد وصدق ، ودين كفاح وجلاد قام على العزة والروبية ، وقام على الاعتراف بالكتب السماوية وعلى محاسن الأخلاق ، ولا بد للرب مؤمنا أن يؤدى لله واجبه وللعباد واجبهم ويؤدى للأرض حقها . فقد اختار الله